دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، شتاء ۱۳۹۸، العدد الرابع والأربعون: صص ۹- ۳۲

تطبيقات نظرية خطاب السلطة لفوكو فی رواية «الزينی بركات»

فاطمه اكبری *
كتايون فلاحی **
طاهره چالدره ***

تاريخ الوصول: ۹۸/۸/۱
تاريخ القبول: ۹۸/۱۱/۲

الملخص

اشتهر الفيلسوف الفرنسی *ميشيل فوكو* بتحليله للسلطة فقد ابتكر مفهوما جديداً للسلطة كان ضالة الجميع فإنّه تعامل مع السلطة بوصفها عملاً تبادليا ثنائيا منتجاً. كما تنتج أساليب مقاومته أشكالاً جديدة من السلوک. فيؤكد *فوكو* أن السلطة استراتيجية أكثر منها ملكية وليست حقاً تحتفظ به لنفسها الطبقة السائدة وإنّما هی شبكة من العلاقات تنتشر وتتطور فلا يعتبر *فوكو* السلطة وملابساتها علاقات تتشكل بين المواطنين أو بين سطوح الطبقات الاجتماعية، بل هی مجموعة علاقات تنتشر فی بنية المجتمع ككل ويقوم بها الجميع بشكل أو بآخر فيمارسها كلٌ من الأمراء والمهمشين. لقد عُرف *جمال الغيطانی* بقدرته على جعل فنه الروائی لصيقا بواقعه الحياتی وآلامه الفكری فروايته «الزينی بركات» من أبرز رواياته فی هذا المجال. بناءً على هذا، تسعى هذه الدراسة أن تقارب هذه الرواية موضحة أبرز المبادئ والأفكار الرئيسية المتعلقة بعلاقة القوة واللسطة بالمجتمع بمفهومه الفوكوی كما تناقش أهم مبررات السلطة فيها، متخذة المنهج الوصفی- التحليلی لتبيين ملامحها ومعالمها.

الكلمات الدليلية: الخطاب، السلطة، الزينی بركات، ميشيل فوكو، جمال الغيطانی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* طالبة الدكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها، فرع گرمسار، جامعة آزاد الإسلامية، گرمسار، ايران.
fakbari5618@yahoo.com
** أستاذة مساعدة، فرع اللغة العربية وآدابها، فرع گرمسار، جامعة آزاد الإسلامية، گرمسار، ايران.
ktu.fahhahi@yahoo.com
*** أستاذة مساعدة، فرع اللغة العربية وآدابها، فرع گرمسار، جامعة آزاد الإسلامية، گرمسار، ايران.
الكاتبة المسؤولة: كتايون فلاحی

المقدمة

الخطاب مفهوم جديد فی مجال التطورات الفكرية والإجتماعية حيث أصبح ميدان إهتمام العلماء ونقاد الأدب والفلسفة والسياسة وعلم النفس وعلم النفس الإجتماعی والحقول الأخرى فی العقود الأخيرة.على أنّ هذا المفهوم له استعمالات عديدة فی الأدب الفلسفی- الإجتماعی فی القرون الوسطى ولاسيما فی العصر الحديث، وله جذور فی كتابات ميكيافيلی، *هوبز وروسو*؛ غير أنّه اختلف معناه لدى متفكرين *كإميل بنوينسة*، و*ميشل فوكو*، و*جاک دريدا* ومتفكرى الغرب المعاصرين الآخرين. وقد وصل هذا الإختلاف إلى أنّ الكُتاب والخطباء الجامعيين الغربيين يؤكّدون فی كتاباتهم وخُطبهم على أنّهم يستخدمون المفهوم هذا بمعناه الفوكوئیّ أو مابعد بنيويته فی العقدين الأخيرين. وقد ذكر فی الفارسية عدة معادلات لهذا المفهوم كـ«الكلام» و«الوعظ والخطابة» و«الدرس والبحث» و«المقال» و«الخطاب»؛ غير أنّ الذى جاء بمفهوم «الخطاب» لأول مرة كان *داريوش آشورى* وكان ذلک فی مقالته «نظرية التغرب وأزمة التفكير فی إيران»(آشورى، ١٣۶٨ش: ۶٠-۴۵۴). ولنظرية خطاب السلطة *لفوكو* أثرات عميقة وبارزة على تيّار الفكر والنقد. واتّبع خطاب السلطة فی فكرة *فوكو*، نظرية العلم، السلطة وكيان الحقيقة. وأصعب فكره المُستفهِم عملية التفكير من جهة كما أذاق الباحث لذّة التفكير من جهة أخرى.

حاول *فوكو* أن يذهب بالإنسان إلى أقاليم اللاتفكير حتى يكشف عن أشياء صامتة طبيعية. فعلى هذا نرى أفكاره مخالفة لكلّ ما يصطبغ بالعولمة والبداهة. وأما دوره ففی تعليمه الناس أنّهم أحرّ مما يزعمون وأنّهم يستطيعون أن يبحثوا مرة أخرى فی الأزمنة التأريخية التی قبلوها كحقيقة من جديد وينقدونها(فتاحی، ١٣٨٧ش: ۶۵). إحدى الحقول التی تؤدى إلى دراسة خطاب السلطة وتحليلها على أساس نظريات *فوكو* هی نقد الرواية. ومن الروايات العربية الحديثة المشهورة، رواية «الزينی بركات» للكاتب المصرى *جمال الغيطانی* التی تناولت قضية السلطة وماهيتها. وبما للرواية من سمعة وأهمية، قام المقال إلى كشف خطاب السلطة فيها وتحليلها وتمييز علاقات الخطاب فی نصّ الرواية على أساس نظريات *فوكو*؛ مستخدماً المنهج الوصفی- التحليلی ومن ثمّ مطالعة وكتابة المعلومات كتابة مكتبية، كما أنّ البيانات قد درست على أساس الإستدلال والمعلومات وأسس البحث النظرية.

خلفية البحث

تظهر نتائج البحث *لعليرضا كاهه*(٢٠١٨) الموسوم بـ«بنية الشخصية فی رواية الزينی بركات لجمال الغيطانی» بأن اعتمد الكاتب فی رسم الشخصيات والوظائف المسندة إليها على الراوی العليم الذی يقدّمها عبر صيغ متنوّعة أهمها: الخطاب غير المباشر الحر، والحوار، والراوی الخارجی، إلى جانب الاستفادة من المعلومات الواردة فی كتاب «بدائع الزهور فی عجائب الدهور» *لابن إياس*. وقد سعی الراوی بشكل لافت إلى بلورة الملامح الداخلية للشخصيات ما أدی إلى حجب الأوصاف الخارجية المحددة عنها. تعتمد المقالة على المنهج البنيوی لتحليل بنية الشخصية فی هذه الرواية من خلال تسليط الضوء على أشكال تقديم الشخصيات الرئيسية والفرعية فيها إلى جانب تبيين وظائف هذه الشخصيات. *عبدالجاسم الساعدی*(٢٠١٢) فی مقالته الموسوم بـ«سيكولوجية الإنسان المقهور فی الرواية العربية من خلال وليمة الأعشاب حيدر حيدر والزينی بركات جمال الغيطانی» يحاول فی دراسته التحليلية لسيكلوجية الإنسان المقهور فی الرواية العربية ملامسة أهم القضايا التی يواجهها الانسان من زوايا ورؤی مختلفة ومتقاطعة أيضاً، *ففرويد* المعلم فی البسيكولوجيا الحديثة، يؤكد أن الصراعات تحاصر الكائنات البشرية فی مختلف أحوالها وأنظمتها الاجتماعية، أی أنها ملازمة للبشر لا تقبل عنه إنفكاكاً. ويرد على الماركسيين بقوله أن العدوانية لم تخلقها الملكية، لكنه يقرّ بأن الملكية الخاصة تشكل أداة عدوانية قوية غير أنها ليست أقوی من الدوافع الجنسية والعدوانية الغريزية التی كما يراها تفوق وزن الحاجات والمصالح ذات الصفة الاجتماعية. ويوم تلغی الملكية الخاصة وتعود الثروات مشتركة بين الجميع، ويصبح فی وسع كل فرد أن يشارك فی الملذات التی توفر تلك الثروات أسبابها، تتلاشی العدوانية وروح الأذی السائدتان فی البشر.

ولكن لا يوجد أی بحث حول موضوع الحاضر.

صعوبات البحث

دراسة رواية تأريخية وكشف عناصرها القصصية وإجراؤها على ما فی الرواية من المشاكل الرئيسة التی واجهها الباحث طيل دراسة القصّة. هناك مشكلة أخری فی دراسة رواية «الزينی بركات» وهی معرفة تأريخ مصر تعريفا دقيقا يستلزم الزمن الكافی من جهة

والمصادر الوافية من جهة أخرى. دراسة هذه الرواية من منظور خطاب السلطة *لفوكو* موضوع لم يتطرق إليه بعدُ، إلّا فيما شذّ وندر من ندوات النقد العابرة. فقلة المصادر من القيود العظمى التى تمكن الإشارة إليها.

ميشل فوكو

كان *ميشل فوكو* فيلسوفا مؤرخا وباحثا من أكبر العلماء تأثيرا وتُعدّ آثاره فى حقل مابعد البنيوية ومن ميزات فلسفته، تيار الوعى والإبهام ولا تنحصر آثاره فى أسلوب خاصّ ثابت أو كلام خاصّ وربما هذا هو السمة الوحيدة لعمله، يرى أنّ الماهية التى يمكن تعريفها عبر الزمن، هى نتيجة عملية السلطة القادرة والمهلكة؛ والجدير بالذكر أنّ فكرة *ميشل فوكو* تدعو دوما الإنسان إلى الأزمة والخلافات العديدة ويبقضه من نوم الدوغمائية والتحجر والتزمت. يريد *فوكو* فى الحقيقة أن يطرح أطر الثقافة المخفية، العلم والسلطة والحقيقة المنبوذة ومن ثمّ يبحث عنها ويحللها(ضميران، ۱۳۸۹ش: ۱۹۹).

اعتقد *فوكو* كباقى البنيويين ألّا يبحث كلّ شىء فى خفايا الذهن المظلمة بل يجب إيلاء الاهتمام للسياق والتكوينات الخارجة عن الذهن. يعدّ *فوكو* المحتوى لحدث الدلالى للعقل مسألة الإنسانوية الرئيسة ويدعى أنّ البحث عن حقيقة المعنى يتحقق ضمن المجتمع والثقافة؛ لكنّه خلافا لمدرسة البنيوية، يشكك فى صُور الذهن المقوعدة ويدعّى أنّ ظواهر الذهن والموضوع لها سلوك خاصّ وفريد، ومن ثمّ أدرک سماتها الخاصة فلم يسعَ لخلق نمط شكلى ومنتظم لسلويات الإنسان(المصدر نفسه: ۶).

هناک نظرتان حول السلطة فى العصر الحديث: ۱.السلطة كتدخل وعمل أحادى الجانب على أساس القوّة والضغط على الآخرين. إعتقد *هابز* فى هذا المفهوم للسلطة وهو من أوائل الذين نظروا إلى السلطة نظرة سياسية، بأقسام للسلطة ألا وهى: السلطة الطبيعية أو الذاتية(سواء المواهب الجسدية أو العقلية) والسلطة السببية(كالمال، السمعة والأصدقاء) مستخدما تحليلا نفسيا عن زيادة طمع الإنسان فى قضية السلطة، كما إعتقد أنّ القدرة والقوّة وقبول القوانين والخوف من العقاب هى التى تمنع الإنسان من الطمع والزيادة(جونز، ۱۳۹۵ش: ۷۲۵). هذا الفهم مبسوط فى تأريخ الفلسفة واسعا؛ الفهم الذى ينظر إلى السلطة كقوّة كميّة وميكانيكية حيث يستطيع أصحاب القدرة أن ينالوا إلى

مقاصدهم وأغراضهم. يرى *ماركس* أنّ السلطة حظّ يقبل على إنسان أو فريق منهم لإنجاز ما يريدون تحققه رغم مخالفة الآخرين(هيندس، ۲:۱۳۹۰ش). فعلى هذا، السلطة نوع اقتدار سيطر عليها شخص أو مؤسسة سياسية لممارسة القدرة على الآخرين(نظری، ۱۳۹۱ش: ۳۱).

۲.أما الإنطباع الثانی عن السلطة فيصورها تدخلا تعامليا ثنائيا. ففی هذه الرؤية للسلطة علاقة ثنائية تماما وهی تداخل ذو علاقة وليست امتلاک وسائل فقط. هذا الفهم من السلطة أكثر جدة من الرؤية السابقة؛ فهو ينظر إلى السلطة كنوع من المساوات وموازنة السلطة حيث تقدّر التغييرات. كتب *هانا آرنت*: «السلطة تساوی قدرة الإنسان لا للعمل فقط بل للتلاؤم مع الآخرين كذلک»(المصدر نفسه: ۳۲).

إنّ المقاومة بأنواعها ونفقات المواجهة معها هی نتيجة سيطرة السلطة التی فی رفضها نفقات زيادة لا تطمئن نتائجها. رأی *فوكو* أنّ دراسة السلطة هی دراسة علاقاتها وتدخلاتها العاملة المنبعثة منها؛ السلطة مولدة وتؤدی إلى أشكال جديدة من السلوک ويعتقد أنّ السلطة لا تستخدم الضغط والهلاک فقط، هلاک الضعيف بأيدی الأقوياء. ففی رأيه تعمل السلطة فی العلاقات اليومية بين الأشخاص والمنظّمات؛ إنّها مولدة تكشف عن ظهور السلوک بأشكال مختلفة؛ تنشیء المقاومة والسلطة علاقة ثنائية تظلّ على جميع العلاقات فی المجتمع(ميلز، ۱۳۹۲ش: ۶۱-۵۹).

الإطار النظری

يرى *فوكو* أنّ إبيستمة(العلم) مجال تأريخی خاصّ وإعادة استعراض العلوم؛ ثمّ يعرف هذا المصطلح كمجموعة علاقات متكاملة تجعل نشاطات خطابية لزمن ما، متوحدة تنجم عن ظهور الصور المعرفية والعلوم والأنظمة الشكلية المحتملة(مكاريک، ۱۶:۱۳۹۰ش).

فالذی يهمّنا فی تحليل نصّ ما، هو مكانة النصّ داخل النسيج الخطابی أو إبيستمة (علم) ومقتضی زمنه؛ فعلى رأی *فوكو* ليس الخطاب شيئا أبديا مطلوبا بل هناک خطابات تأريخية وزمانية. فالحقيقة تتغيّر فی كلّ زمن على أساس الخطاب القائم لذلک الزمن.

يؤمن *فوكو* فی مجال السلطة بالسلطات بدل السلطة الواحدة؛ ويرى أنّ للسلطة أشكالا مختلفة منها العائلية، الوطنية والعالمية؛ فهو القائل: «ليس المجتمع جسدا واحدا تعمل

فيه سلطة واحدة بل هو اجتماع السلطات المختلفة واتصالها وتلائمها التى تحافظ على بقائها»(فوكو، ۱۳۹۳ش: ۱۸۳).

ففى الواقع تطرّق *فوكو* إلى ذلک القسم من السلطة الذى لم يتطرق إليه أحد حتى الآن، أى المواضيع التى تمارس عليها السلطة(هيندس، ۱۳۹۰ش: ۱۱۷)، ويعلن أنّ علاقات السلطة لا تتشكل حيث لا مجال للمقاومة. ففى الحقيقة، السلطة لعبة التدخل بين الحريّات كما تكون لممارسة السلطة جهة أخرى ألا وهى رفض الإتّباع وأنواع المقاومة أمام السلطة. فدراسة السلطة لا تنحصر فى تحليل قدراتها الكمية بل هى دراسة تركيب النشاطات التى تؤثر على فعل الآخرين. هنا تظهر قضية العقل والعلم حيث اختلطت علاقات السلطة مع العلم وثيقا(المصدر نفسه: ۱۱۷).

أينما استخدمت السلطة، ولد العلم حيث لا توجد سلطة دون تشكيل مجال علمىّ كما لا يوجد علم لم يتضمن علاقة السلطة(دريفوس: ۲۴). يرى *فوكو* أنّ السلطة ليست شكلا من القمع فقط بل هى خالقة تسبب أحداثا ووقائع وسلوكا جديدة متنوعة. لم تزل المقاومة أمام السلطة تحدث بأشكال مختلفة. وضّح جيمز اسكات فى «السلطة وأساليب المقاومة» بعض علاقات السلطة كرعاية السلطان والرعية آداب التكلم والخطاب فى الحضور وتصرفاتهما المختلفة فى الغيبة. فالذى لا قدرة له يستهزىء أصحاب القدرة لدى زملائه أو يحبک قصصا حولهم؛ سمّى إسكات هذا الظرف «نقد السلطة فى غيبة السلطان» حيث يدوّن المُسيطَرون كتابا يبرّرون فيه العصيان العام، تأخير الشؤون والسرقة ومن ثمّ يؤدونه كما يقول السلطان عن مصائبه للسيطرة عليهم ومراعاة الشكل الصارم المبرم (ميلز، ۱۳۹۲ش: ۱-۷۰). فالسلطة فى رأى *فوكو* شىء مقضى عليه وهى إلى الحلّ أشبه منه إلى الملک؛ بعبارة أخرى يجب أن نعتبر السلطة فعلا ولا اسما. كما أنّ السلطة تعمل مسلسلة وجماعية لا فردية. السلطة خالقة تنجم عن أشكال جديدة من الآداب والسلوک؛ إنّها كشعيرة حضرت حتى فى أصغر أجزاء المجتمع وأخفاها وتفرض عقليتها بأساليب مختلفة على جسد المجتمع.

كانت أساليب الحكم فى قديم الأيام تنشأ عن السيطرة والتخويف. يرى *فوكو* أنّ أساليب السلطة القديمة تشمل النظم من خلال السيطرة والقساوة، القانون والعقاب، التقاليد والراعى السلطة.

أهمية نظرية خطاب السلطة لفوكو

إنّ لمقولة «خطاب السلطة» *لفوكو* أهمية هائلة بما كان له من تأثير جليل على مسار النقد والفكر. فخطاب السلطة الفوكویّ نبع من نظرية «المعرفة والسلطة وكيان الحقيقة» (فتاحی،۱۳۸۷ش: ۶۵). لقد قام *فوكو* على أساس التحليل الخطابی بدراسة علاقات السلطة ولمّا كان عرض أية فكرة نظرية من جانبه تكون فی نهاية المطاف تبياناً لرؤيته لخطاب السلطة، فكان مفهوم الهيتروتوبيا(الانتباز الفضايی) هو أيضاً تأكيد لأفكاره السابقة فی هذا الصدد. حيث تعيد دراسة الآليات العملية للسلطة عبر توصيف موقف المكان من البيئة الجغرافية الإنسانية (ن.م).

وبما قدّمه *فوكو* من تحليل وفهم خاص لمسألة خطاب السلطة فقد تبنّی الكثير من المفكرين آراءه وأفكاره أساساً ومعياراً لأفكاره الجديدة فی نقد السلطة، فهذا *إدوارد سعيد*- على سبيل المثال وليس الحصر- الذی كتب قاعدة كتابه «الإستشراق» على هذا المفهوم يقول قائلاً «لا يُدرَک مفهوم الإستشراق إلا أن يتمّ درسها كخطاب... وذلک بمفهومه الفوكويی»(عضدانلو، ۱۳۸۰ش: ۱۴).

رواية الزينی بركات

والرواية تتناول مشاكل الحياة ومواقف الإنسان منها فی ظل التطور الحضاری السريع الذی شهده المجتمع الإنسانی خلال هذا القرن(شوندی وكريم، ۱۴۳۲: ۵۲).

تعدّ رواية «الزينی بركات» لكاتبه *جمال الغيطانی* واحدة من أشر الروايات فی الأدب العربی وتراثه، والتی حظيت بما لا تحظی به غيرها من الروايات إلا ما ندر. فهذه رواية عالج *فيها الغيطانی* ظاهرة القمع السياسی والخوف والقهر كما أشار إلى أسباب تفشيه وبيّن مظاهره المركّبة. تدور الرواية حول شخصية تدعى "الزينی" والذی كان يعمل كبيرا لجماعة البصاصين أو رئيساً للمخبرين. كما تولّی بعده منصب والی القاهرة. كان الزينی يتحلی بالعفة والأمانة والنشاط والحماسة لكنه من أجل أن يحافظ على ولايته ويدير شؤونها بشكل حازم ويمنع السرقات ونهب التجار، كان لابدّ أن يطلع على ما يدور بداخل كل البيوت وفی كل شیء. إنّها رواية تاريخية أخذت مادتها من التاريخ ليسقط الماضی على الحاضر وذاک بشخصيات لها خلفية تاريخية *كعلی بن الجود* و *سعيد الجهينی*

و*زكريا بن راضى* لتحملهم أحداث الرواية من الخصومة والتنافى إلى جانب حوارهم فى العدالة والسلطة والبصاصة. فـ«الزينى بركات» يبذل قصارى جهده فى الحفاظ على السلطة مما يدفعه إلى إبداع أساليب غريبة من قمع المعارضين وتصفية إجسادهم والتمسك بآخر أساليب البصاصة. ومن بين تلك الشخثيات التى بصراعه المستمر مع الزينى تدفع نصّ الرواية إلى الأمام وتحرّک أحداثها هى شخصية "زكريا بن راضى" رئيس جهاز البصاصة. كذلک شخصية "سعيد الجهينى" الذى يلعب فى الرواية دور المعارض والمصلح حيث مثّل هو بأفكاره وآرائه قسطاً من أفكار وآراء المثقفين المصريين المعاصرين ويرمز إليها.

۱. السلطة والشرعية

إنّ بحوثات *فوكو* الانتقادية فى خطاب السلطة تمّ إجرائها بهدف إماطة اللثام عن وجه السلطة. فإنّه كان يحاول أن يكشف حضور إرادة السلطة الخفية المالكة خلف ستار تظاهر المجتمع الديمقراطى والشعب فى المؤسسات المعاصرة الحديثة، سوف تنصاع لاإراديا للسلطة تحت عناوين الحقيقة أو الحرية، إذ لا يقوم المجتمع البشرى إلا على نظام السلطة فانهيار نظام اجتماعى يواجهنا مع نظام سلطة أخر(فولادوند، ۱۳۷۲ش: ۳۰-۲۹).

بالنظر إلى أنّ كل نظام سلطة له تعريفه وتفسيره للحقيقة، فإن الهروب من السلطة إلى الحرية يبدو مجرد حلم. حيث يمكن فهم هذه الرؤية من الصفحات الأخيرة لرواية «الزينى بركات» خاصة فى قسم "خارج السرادقات" حين صوّر الراوى القاهرة بعد كلّ الأحداث التى جرت عليها كمدينة ميّتة ويائسة(الغيطانى، ۱۹۹۴م: ۲۸۱).

يرى *الغيطانى* أن السلطة فى البلدان العربية تكون فى قبضة طبقة مالكة فاسدة مستغلة. حتى الثورة وأفكار الثوار تقع فى هيمنة اللاوعى لهذه الطبقة، كما تتمّ الإدارة غير المباشرة للشؤون السياسية للمحافظات عن طريق تبعية المرتزقة من نوايا سلطة الحاكم الهائلة حيث يشبه الهيكل السياسى لهذه المحافظات، على الرغم من اختلاف الولاة، هيكل العاصمة التى يقوم فيه السلطة الحاكمة(مهدوى، ۱۳۸۹ش: ۶). وأىّ نقل لأساليب السلطة عن طريق تعيين العملاء والموالين وتوليتهم على المحافظات يكون من القضايا التى تجسّدُ إشكالية السلطة بشكل أوضح فى هذه الرواية(الغيطانى، ۱۹۹۴م:

۱۸۷-۱۸۸). و قد أکّد *الغیطانی* فی روایته علی زیف التقشف والزهد والورع کأدوات خدعة وغوغائیة یتظاهر بها الجهاز السلطوی لکسب الشعبیة والشرعیة عند الطبقة المهمّشة:

«علی مرأی من الأمراء فی حضور جمع عظیم طلب الزینی برکات بصوت خدشه التأثر أن یعفیه مولاه من وظیفة الحسبة قال بصوت مرتجف الحسبة یا مولای ولایة یؤتمن صاحبها علی أحوال العباد، وحاشا لله أن أجد فی نفسی القدرة علی هذا أنا عبد فقیر لا أطیق وصایتی عل إنسان أتمنی انقضاء عمری فی أمن وسلام بعیدا عن أمور الحکم ما أریده قدرة آمنة لا یقلقنی فیها سب انسان أو سخط مظلوم غفلة عنه ولم أنصفه من ظالمه» (الغیطانی، ۱۹۹۴م: ۴۱)

فروایة «الزینی برکات» کشاشة سینمائیة تقوم بنقد ما یجری فی البلدان العربیة من عنف ومکر وقهر وتقرأ لا شعور السلطة وخلفیات الاستبداد، وهی بذلک تکشف عن خفایا خداع أصحاب اللسلطة وتزویرها کما تشیر إلی أنواع أسالیب الحیل التی تتمسک بها تلک الطبقة المتحکمة للتحایل علی القانون وتجاوزه، تلک الظاهرة التی تشیع فی بنیة السلطة الفاسدة الملتویة لعدید من دول المنطقة. یبدو *الغیطانی* فی هذه الروایة وکأنّه سیاسی بارع متمکن عایَشَ لسنین مع أصحاب السلطة حیثُ یدرس ویعالج بنظرته الحادة ما یجری ویسری فی العالم السیاسی لهذه البلدان وأنظمتها الحکومیة:

«یا أمة المسلمین... یا أهالی مصر...أتوجه إلیکم برجاء، أبلغونا حال وقوعکم علی أیّ إنسان یکتنز المال من دم المسلمین لا تُقبل أبداً أن یجوع الخلق وتستمع قلت أبلغونا مهما علا قدر مکتنز الذهب والفضة والبغال والعبید والجواری أخذنا لکم الحق منه»(المصدر نفسه: ۱۳۲).

إن *الغیطانی* یصور خداعات الطبقة المالکة بطریقة تثیر لدی القارئ الإحساس بالکراهیة والنفور من ازدواجیة سلوکیات الساسة المسیطرین وتخطیطات الطبقة الحاکمة کما یحیی فیه روح الوعی ویفعّل عنده التعقل والتحرز:

«ضحک الزینی عال... عال... واخبار الصلاة ابتسم زکریا یدی قبلة الشفاة.. تزاید ضحک الزینی امع یا زکریا لا بدّ أن تختل مکانة فی قلوبهم أکبر غدا ارکب حصانک دع رجلا من رجالک، یرتدی ملابس فلاح وآخر من رجالک

فی ملابس مملوک لیضرب الثانی الأول ضربا فظیعا وطبعا یتصادف عبور موکبک هنا ترجّل أنت أنصف الفلاح، واقبض علی المملوک أکثر من أشباه هذا یحببک الله الی قلوب الخلق وعندما یصل البصاصون یجدون لأول مرة فی تاریخ الإنسان بصاصا عظیما لا یتقن عمله فحسب، إنما یحبه الخلق ویحترمونه هذا یساعدنا فی نشر العدالة وإقامة المیزان»(المصدر نفسه: ۱۹۴).

۲. السلطة والمعرفة

«إنّ السلطة هی قدرة الإنسان علی التعامل مع الآخرین ولیست للممارسة فقط» (نظری، ۱۳۹۱ش: ۲۳) وهذا النوع من السلطة التی عبّر عنها *دینیس رونج* بـ«القدرة التعاملیة» لا تشیر إلی القدرة الکمیة للسلطة، وإنما تدرس السلطة فی تنظیم ومنظومة متماسکة من نظام عامٍ لإجراءات یؤثّر بعضها علی بعض. فإنّ أنواع المقاومة والتهرب وتکلفة مواجهتها هی فی الواقع تکون نتیجة لممارسة سلطة تتبعها آثار لیست عواقبها مضمونة والذی عادة ما یکون بسبب التمرد.

یعتقد *فوکو* أنّ درس السلطة یتم عن طریق درس علاقات السلطة والإجراءات التفاعلیة الناتجة عنها. فالسلطة منتجة وتخلق أشکالاً جدیدة من السلوک کما أنها تتناغم عمیقا مع المعرفة وأشکال الحقیقة ومرتبطة بهما، یری *فوکو* أن السلطة لیست القمع والرعب وکما لیست تصفیة الضعیف علی ید القوی. فالسلطة فی رأیه تمارس فی إطار العلاقات الیومیة بین الأفراد والمؤسسات فی منتجة لأنها تسبب فی ظهور أشکال جدیدة من السلوک، وتخلق المقاومة باعتبارها علاقة ثنائیة الاتجاه تلقی بظلالها علی جمیع العلاقات داخل الجسم الاجتماعی(میلز، ۱۳۹۲ش: ۵۳-۶۱).

یؤکد *فوکو* أن السلطة والمعرفة یرتبط بعضهما ببعض حیث یصعب وقد یستحیل أن تتمّ ممارسة السلطة بلا معرفة أو أن لا مصدر معرفة. فلیست المعرفة بحثاً نزیهاً عن الحقیقة وإنما هی السلطة التی تخوض عملیة المعلومات وبالتالی تحدّد ما یحقّ اعتباره حقیقةً(المصدر نفسه: ۱۲۰). فإنّ ترکیب الأعمال التی تؤثر علی سلوکیات الآخرین هو الذی یعرّف السلطة ویشکّلها. فعلاقات السلطة عند *فوکو* متبادلة وغیر مستقرة وقابلة

للرجوع. کما رکز هو علی طرق السلطة وعقلانیتها علی وجه الخصوص(هیندس، ۱۳۹۰ش: ۱۱۲-۱۱۳).

إنّ *الغیطانی* کذلک یؤکد علی أنّ السلطة ولیدة المعرفة؛ ولأمته سلطة لأنهم یفقدون المعرفة فمن منظوره لم یتقدم الغرب دون العالم الثالث إلا بإقباله علی الحقیقة واهتمامه بالمعرفة والتطورات الحضاریة. إنّ *الغیطانی* یجسّد شعبه ولا بل قل أکثر الناس فی الشرق شعبا مهمشین ومقهورین بما تجاهلوا المعرفة وتکاسلوا عنها وتقاعدوا. فهو یعتبر السلطة قوة مؤثرة وفعالة لما تتمتع به من تأثیر وإشراف وعلمٍ للعلاقات المتنوعة أخصها وأعمها. فهذا الزینی برکات کبیر بصاصی مصر یبین لهم فی نهایة خطابته أنّ سرّ قوته واستمرارها یکمن فی العلم والمعرفة:

«فما ذکرته أخیرا أخیله تراودنا لکن عندما یصیر الأمر حقیقة فسوف یقول بصاصو الأزمان المقبلة انظروا کان أسلافنا أبعد نظراً وأشد عزماً»(الغیطانی، ۱۹۹۴م: ۲۳۴-۲۳۵).

تعدّ علاقة العناصر والقوی فی أداء وممارسة السلطة قلب تناول *فوکو* لخطاب السلطة وجوهره. یری *فوکو* السلطة کشبکة غیر متجانسة من إستراتیجیات وتکتیکات تنتشر فی کل الجسم الاجتماعی، «مجموعة عنقودیة شاملة من العلاقات» التی تنطوی فی ممارسات السلطة. وبالتالی لیست السلطة ملکاً(یقصد به الملکیة الشرعیة فی العلاقات القانونیة للعقود والقواعد) لفئة أو طبقة أو مؤسسة خاصة. علی عکس *فوکو فالغیطانی* یحاول أن یروّج لفکرة أنّ المعرفة یتمّ تداولها حصریاً بین الطبقة المتمیزة التی تمثّل مرکز السلطة الحصریّ، والمهمّشون لا یسعهم إحراز المعرفة التی هی تتنج السلطة فی العصر الحدیث. ویبین کیف تستغلّ الطبقة المالکة جهل المهمشین وسذاجتهم فی سبیل تحقیق مصالحها الخاصة(المرجع نفسه: ۳۱-۳۳) کما ینصّ علی أنّ المعرفة یتمّ إنتاجها فی ظلّ علاقات السلطة التی توظّفها الطبقة المالکة بالمحصلة فی صالحها الخاص ویجعلها الحکام فی نطاق عملهم.

إنّ *الغیطانی* یدرک هذا الأمر جیداً فهو فی نقده للسطلة یشیر إلی نقطة فی غایة الدقة ألا وهی خشیة الطبقة المالکة من انهیار سلطتها عبر معرفة الناس ووعیهم؛ فإنها تعلم أن سلطتها قامت علی أسس هشّة وزائفة من النفاق والتزویر والتلصص. فکلما اهتزّت هذه

الأسس بازدیاد معرفة الناس التی لها أن تجلب لهم القوة فسرعان ما تتداعی أرکان سلطتها وتنهار:

«فی المدة المنقضیة علی ولایتی للحسبة لاحت طلوع حکایات بین الحین والحین تنتقل بین الناس الغرضُ منها التشهیر بدحد کبار رجال السلطنة ومنی شخصیا، وهذا أمر تتفق معی علی ضرورة مقاومته وإزالة أسبابه حفاضا علی هیبة الأمراء والرجال الأکابر»(المرجع نفسه: ۱۵۴).

۳. السلطة والعدالة والحریة

لا تعنی السلطة فی رؤیة *فوکو* کمدلول لسیادة الدولة، قواعد القوانین ووحدة السیادة فإنها فی معظمها مظاهر نهائیة للسلطة. فالسلطة لیست مؤسسةً أو قدرة محددة لفرد أو جماعة بل هی تتحق فی سیاق علاقات غیر متکافئة وغیر مستقرة. بناء علی تحلیل *فوکو* للسلطة فهی تمارس فی ظلّ مفاهیم «الحریة» و«الأمن» و«العدالة»؛ فی الواقع هناک علاقات معقدة ومتشابکة بین الحریة والأمن والسلطة(محمدی، ۱۳۹۸ش) حیث نری السلطة قی تتحمس للحریة والأمن والعدالة، بید أن هذه المفاهیم تصبح عند المجتمعات التی نمت السلطة فیها نموّا غیر طبیعیاً، ألعوبة بأیدی الطبقة المالکة تحدّها بشتی أسالیب التحکم.

کذالک *الغیطانی* فهو إلی جانب عدم توثقه من الحقائق العامّة یری أنّ مفهوم الحریة والعدالة هو من بین تلک المفاهیم الکلیة والحقائق العامّة التی تمّ اختراعها من قبل المجتمعات المختلفة کوسیلة لاکتساب السلطة الاقتصادیة والسیاسیة أو کسلاحٍ ضد ممارسات السلطة. فإنّه یسرد لنا فی روایته «الزینی برکات» عالماً تفسخ فیه الأمن وتقدّم الدولة التی تقوم علی جهاز الأمن کـ«شرفٍ ملکی». فی الواقع تکون روایة «الزینی برکات» قصة للتناقضات والصراعات الداخلیة الحکومیة مع کبیر البصاصیین "زکریا بن راضی»:

«رجالها وشیوخها ونساءها وغلمانها وجواریها وبیوت الخطأ فیها وشرطتها وعسسها وفقهاءها وحماماتها وأسواقها وخاناتها وطوائفها ومغنیاتها وملاهیها وأسماء الأروام المقیمین والقادمین والراحلین والإفرنج العابرین ومن یتصل

بهم یتردد علیهم من المصریین کل أمر کبیر أو صغیر هنا أما الأمراء وأعیان الناس ومشاهیر الخلق فکل ما یتعلق بهم أمزجتهم وعاداتهم مشاربهم أواؤهم ما مر بهم من أفراح وأتراح کله هنا یقول زکریا متباهیا هذا القسم فی الدیوان مفخرة للسلطان وغرة فی جبین السلطة المصریة لم یحدث قط أن أعد شیء کهذا فی تاریخ أی بصاص مصری أو إفرنجی وبإذن الله العلیم القریب سیجیء یوم یصبح لکل إنسان قسم خاص به یلخصه منذ آهة المیلاد حتی رعشة الموت»(غیطانی، ۱۹۹۴م: ۱۱).

فمن ناحیة أخری، تتحدث شخصیات الروایة فی معظم الأحیان عن شخصیة مهیمنة علی مسار حیاتهم بقبضته الحدیدیة؛ وهذا الرمز السلطوی لا هو یقدّم نفسه ولا غیره یجسّد ملامحه فهو شخصیة غامضة ضبابیة، وکلّ ما هنالک هو الشعور المقذع بالمراقبة المستمرة والتنصت الدائم لا یخضعان للزمان والمکان:

«نظام دقیق استحدثه یتفاخر به علی البصاصیین فی أنحاء الدول والإمارات کل حمامة تعرف أی الطرق تسلک لا تطیر فوق بیت فیه إنسان فوق قافلة فی الصحراء، إنما تعیر الخراب إلی أهدافها ولو طال بها الزمن الیوم ستطیر الأسراب لیعلم المباشرون وأصحاب الإقطاعات والمشایخ البلاد حتی العامة من الناس الذین خدعوا فی الزینی أی خطأ أتاه السلطان عندما ولی علی أم الإسلام فی مصر رجل لا یعرف له أصل ولا فصل لم یره أحد یصلی جماعة فی یوم جمعة یظهر العدل»(المصدر نفسه: ۹۸).

فزکریا شخصیة قویة صلبة ذو بأس شدیدٍ یمثل وجه التنفیذ للسلطة، حیث یکون کحاکم سحری مستعداً لمواجهة أی خداع بقدرته الأسطوریة فلا یفلت من سطوته أحد ولا یسلم من فخاخه الهارب؛ إنه صورة لدیکتاتور یقتحم کل زاویة ویسلّط هیمنته علی کل شیء کما لا یحمی حریة الأفراد ولا یصون حرماتها فلا یسلم منهم أحد من دسائسه حتی أدق أسرار الناس وأصغرتفاصیلها مباحة له:

«فوق منبر الأزهر القدیم وقف المسجد یفیض بالخلق من کل لون وصنف زعقوا فارتجت الأعمدة وکادت الأذان تبدأ وکأن کل قوة ستعجز عن إسکاتهم لکن الزینی رفع یده الیمنی مفرودة الأصابع(یده عادیة أصابعه

خمس) وكأن قوة سحرية تسيل منه طاف الصمت مغلقاً أفواه الناس» (المرجع نفسه: ۶۲).

ففی السرادق الثالث، يأمر الزينی بركات كبير البصاصين بتحضير قائمة كاملة من الأفراد ووظائفهم وتسجيل أسمائهم فی سجلات منتظمة حيث تسهل متابعتهم دائما. فهو كذلک قام بتحديث إعداد تقارير التجسس فألزم كل بصاص أن يلصق على صدره ملصقا يحتوی على رقمه فی القائمة(المرجع نفسه: ۱۵۲ -۱۵۵). إن هذه التقنيات الجديدة تركز على تحويل الدولة الی مؤسسة بديلة عن النكير والمنكر بينما كان لنكير والمنكر ملكان غائبان حوّلتهما الحكومة الزينية إلى أداة التحكم والمراقبة المرئية.

۴. السلطة والمهمّش

تكون طبقة المهمّش وحالتهم من المفاهيم التی تحتلّ مكاناً بارزاً فی رؤية *فوكو* النقدية للسلطة وتحظی ببالغ اهتمامه. فالمهمّش يطلق بصريح معناه على اولئک الذين يكونون من السلّم الاجتماعی بموضع أسفل(محمدی: ۱۳۹۸ش). بعبارة أخری، يعدم المهمّش السلطة والنفوذ من قبل الفئات المتسلطة ويكونون هم الأقلية ويقصد من الأقلية استبعادهم من لعب أی دور وإقصاؤهم من مراكز السلطة ومن مصادر السيطرة على الأموال فقد تكون مجموعة من حيث عددها ضمن الأكثرية لكنها تعدّ من المهمشين بسبب تهميشها من قبل المجموعات المتحكمة كالنساء.

إنّ رواية «الزينی بركات» قصة حياة أولئک الذين يعيشون فی الطبقات السفلی من المجتمع؛ تلک الطبقة المحرومة التی يهيمن عليها ويسيطر النظام الرأسمالی والإيديولوجيات المتحكمة على المجتمع. ومن المواضيع التی انصبّ اهتمام *الغيطانی* عليها فی هذه الرواية هو انفتاح باب نشر الإشاعات وترويجها على مصراعيها بين الطبقة المهمّشة وما يحظی به من تأثير وقوة فی تحدی السلطة فی المجتمعات العربية:

«ليلة أمس لم ينم الخلق الدكاكين لم تغلق لحظة أصحابها يجلسون أمامها الأمراء أغلقوا بيوتهم دقوا الطبلخانة وقتا أطول من المعتاد بعد العشاء حتی أرتجت المدينة بينما تجیء الأخبار وتروح كموج البحر الكبير يلمس صخر اليالبسة ثم يرتد عنه»(المرجع نفسه: ۵۰).

فالمهمّشون فی روایة «الزینی برکات» رغم ما یتمتعون به من اللباقة والخبرة والمواهب لیس ولن یکون بإمکانهم التقرب من مقاعد السلطة، والوصول إلی أعلی درجاتها فلا تزال السلطة تداولها الطبقة العلیا والمسیطرة بین أیدیها، فعلی سبیبل المثال، عندما ننظر إلی أداء الزینی برکات وسلوکه، نراه کان یحاول نشر العدالة والحفاظ علی الناس وحقوقهم غیر أنّه لما تولّی الحسبة أبقی زکریا بن راضی کبیر البصاصین فی منصبه وعمله کنائبه، وفوق ذلک لقّبه بـ"شهاب" وهو الذی یعدّ من رموز الظلم والقمع والاضطهاد والفساد فی البلد(المرجع نفسه: ۳۱- ۳۸).

وتجدر الإشارة إلی أنّ الشخصیات الثانویة لروایة «الزینی برکات» التی تتمثل کذلک نموذجاً مصغّراً من المجتمع الخارجی، تنتمی جمیعها إلی الطبقة المهمّشة التی تلهث وراء استرداد حقها السلیب، ولکن لمّا لا یملکون الوعی الاجتماعی ولا یعلمون أسلوب الاحتجاج السلیم فیطبق علی حرکتهم الاعتراضیة من قبل البصاصین وعناصر السلطة ورجالها.*فالغیطانی* بجعله تمییز الأمکنة بین المهمشین والطبقة العلیا قام بتعزیز تقسیم الطبقات الاجتماعیة. إنّ هذا التقسیم فی مجال الأدب یؤکّد علی قراءة الصمت فی الأرشفة والأصوات التی دفنت تحت الکم الهائل من السیاسات کما یصرّ علی فصل الماضی من التاریخ إلی جانب تقویة الاختلاف بدلاً من التشابه، ونقد صیاغة خطاب السلطة فی التأریخ الرسمی وإحیاء الإمکانیات الأصیلة مقابل الزائفة. فالصورة التی یقوم *الغیطانی* بتصویر الطبقة المهمشة فیها یظهر بوضوح سمات تلک الفئة وینصّ علی عناصرها:

«دکان لانضی دکان البهجوری بالحسینیة ودکان یونس بالفسطاط ودکان ابو الغیز فی بولاق الدکان الأول والثانی من أکبر دکاکین الحلبة والجنزیل والنراجیل فی مصر وروادهما من میسوری الحال، ویبدأ شرب الکیف فیها بعد العشاء أما الثالث والرابع فشأنهما ضئیل وروادهما من أسافل القوم جلهم من الفعلة»(المرجع نفسه: ۹۳).

۵. السلطة والتعارض

یمثل التعارض فی مجال السلطة تقطة هامّة فی انطلاقة *فوکو* لتحلیل السلطة، فیری *فوکو* أنّ نقطة الانطلاق الأکثر فعالیة وواقعیة لمناهضة السلطة هی التریکز علی

التعارضات وعلاقات السلطة، وانطلاقاً من رؤيته التحليلية هذه للسلطة والتى تعتمد على فهم تصاعدى أى من الأسفل إلى الأعلى، يطرح *فوكو* ويقدّم كفيلسوف مهمل للعمل. فها هوذا يؤكد فى سبيل تبيين نظرته الانتقادية بوجه عليه أن يفيد لأولئک الذين يعملون فى سياق التخطيط المؤسسى قائلاً: صحيح أن هناک أفراداً كالذين يشتغلون فى السياقات المؤسسية للسجون... ليس بإمكانهم أن يجدوا فى كتاباتى توصية أو تعليمات تدلّهم على «ما يجب القيام به»(ميلير، ١٩٩٣م: ٢٣٥). وكذلک الصراع فى رواية «الزينى بركات» دائر بين المحورين «الذات» و«الآخر.» *فالغيطانى* يعيد فى كتاباته بناء تقابلاتٍ ثنائية ويقوم بتنشيط معانٍ جديدة كانت منسية أو تمّ تهميشها لسنوات. بناءً على هذا، يتمّ تجسيد شخصية سعيد الجهنى كشخصية معارضة و«ذات» بلون أبيض كما يتمّ تصوير الزينى وزكريا كشخصيتين غامضتين ومعقدتين و«الآخر» بلون أسود، رغم ما يبذله *الغيطانى* من جهدٍ لإضافة شخصيات رمادية إلى الرواية إلا أنّ هيمنة الخطاب الإيدئولوجى ونقد مساوئ «الآخر» وسلبياتها فى آثاره واضحة، فالآخر فى هذه الرواية يشير إلى السلطة المالكة والسلطة الاستغلالية والنظام التحكمى الرقابى بل وإلى كلّ ما تفرضه الطبقة الحاكمة على الشعب. *فالغيطانى* يصور «الذات» دائماً بلون أبيض و«الآخر» بلون أسود. فمن منظوره يطبق الذات على الشخصيات القيمية التى تستند إلى القيم والمعتقدات، كما الآخر تنضوى تحته تلک الشخصيات التى لا يزعه وازع فى انتهاک القيم وإهدارها. فيُقرؤنا *الغيطانى* فى روايته:

> «هل يوجد أتباع لناكر ونكير لو دفن رجلان فى وقت واحد كيف يستجوبانهما كيف يسألان فى وقت واح ناكر ونكير لا يمكن تواجدهما فى كل قبر الموجود فى الدنيا كلها هو الله سبحانه وتعالى يطيل زكريا التأمل نظام عظيم وترتيب أروع هكذا تمسک الدنيا كلها فلا تفلّت حسنة ولا سيئة» (المرجع نفسه: ٩٧).

من الشخصيات التى يشفق الكاتب له هو "سعيد الجهينى" الذى يتّسم بيقظة ووعى، إنّه لا يخفض رأس الذل أمام الظلم والطغيان والفساد المستشرى فى البلاد ولا تستسلم لها؛ لا وبل يعلى صوت اعتراضه. فهو يمثل ذاک المثقف الذى يؤلمه الزيف فيبحث عن القيم الأصيلة ويضطرب باضطراب الواقع المتردى:

«سعيد يبدو مهموما يسمع بشنق عبد قطع يد سارق ؤشهار إمـرأة ضـبطت تسرق رغيفا تقطع يدها اليسرى أو اليمنى إذا وجدوا اليسرى مقطوعـة مـن قبل يضطرب قلبه كفرخ صغير لبتلّ ريشه لمـاذا يخـدث هـذا كلـه لمـاذا» (المرجع نفسه: ۲۵).

فالسلطة من وجهة نظر *فوكو* ليست ضرباً من القمـع وإنّمـا هـی منتجـة وتسـفر عـن أحداث وأشكالٍ سلوكية جديدةٍ. فإذا كانت السلطة منتشرة فالمقاومة يجب أن تنتشر فـی المقابل وبإمكانها أن تتمظهر فی أشكال مختلفة. فقد حلّـل جـيمس سـكوت فـی كتابـه «السلطة وحيل المقاومة» قسماً من علاقات السلطة كأن يراعی كلٌّ من الحاكم والمحكوم الآداب الكلامية ويتظاهران بها لكنهما يتصرفان سرّاً بسلوكيات متفاوتة يعضهما مع بعض، فالشخص الضعيف يستهزئ بالقوی ويسخر منه أمام نظرائه أو يلفّق حكايات عنه. وقد عبّر هو عن هذه الحالة بـ«نقد السلطة فی غياب المسيطر» حيث يقوم الجمـاهير المحكومـون بتنظيم نسخة خفية ويعيّرون فيها أعمال الطبقة الحاكمـة مـن السـرقة وتسـويف الأمـور وتأجيلها(ميلز، ۱۳۹۲ش: ۷۰-۷۱). فمن هـذه الزاويـة يمثـل "سـعيد الجهينـی" صـوت المقهورين والمهمشين فی المجتمعات العربية ومصر علی وجـه الخصـوص. فإنّـه لا يقـف مكتوف الأيدی أينما وجد قهراً واضطهاداً بل يصيحه بملء فمه كلّما سنحت الفرصة:

«توجعنی المظالم لماذا يجلد الفلاحون وينكر عـالم كبيـر مـن الأزهـر أمـه جاءت من الأرياف تزوره... لماذا... لأنهـا فلاحـة كيـف أصـدق يـا مولانـا أن الناس خلقوا متساويين كيف وما حدث وما سيحدث ينكر هذا ويكذبه كيف أود لو تقدّمت الخلق أجمعين وانتزعنا كل ظلـم وفسـاد. لـيس فـی الـديار المصرية وحدها إنّما فی الدنيا كلّها لكن أعمارنا ستضيع ولن نقدر علی هـذا (الغيطانی: ۱۲).

نتيجة البحث

إن السلطة هو مفهومٌ تأتی من علاقتها بالعقلانية، كما تستمد فی كـل فتـرة، وضـمن العلاقات اليومية وبناءً علی الخطـاب السـائد علـی تلـک الفتـرة، مـن الأشـكال السـلوكية المختلفة لتضفی علی نفسها الشرعية. فهی تتناغم مع تفاعلات السـلطة وإجرائاتهـا التـی

تخلق لها أنماطاً مختلفة تتفاوت حسب المعرفة(إبستمة) وخطاب السلطة. فقد نجحت رواية «الزینی برکات» بطریقة ذکیة فی نقد العدید من الظواهر البیئیة وتحدیها. وفق خطاب *فوکو* للسلطة، یجادل الغیطانی إشکالیة السلطة ویراها قد تمأسست فی البلدان العربیة حیث تتحرک کافة العملیات والأمور نحو حالة تقود الناس إلی تبنی آمال ورغبات ترسخ السلطة وتضمن قوامها. وبالتالی تکشف الروایة عن تنظیم غیر سوی عرقلت العروبة وتسببت فی إذلالها.

تعدّ مقولة التهمیش من العناصر التی عالجها الراوئی فی روایته هذه کما تحظی هی باهتمام بالغ فی فکر وخطاب *فوکو* للسلطة. فالصورة التی قدّمها *الغیطانی* عن هذه الفئة تبیّن ما تتمتّع به هی من السمات والظروف؛ إنّها صورة شعب یحکمه الجهل والسذاجة وتتوزع فیه المصادر والإمکانات علی أساس الولاء والانتماء ولیس علی أساس الجدارة والأداء کما لا یتمتع العلم والخبرة بمکانة فی هرم المعاییر والقیم.

یبرهن *فوکو* علی أن حیثما کانت سلطة فهناک مقاومة وبإمکانها هذه الأخیرة أن تأخذ أشکالاً عدیدة. ففی روایة «الزینی برکات» یکون "سعید الجهینی" من الشخصیات التی قاومت القهر والاضطهاد والنفاق، ولم ترضخ لها وإنّما صاحت ورفعت صوت الاعتراض والنقد فی وجهها فهو فی هذه الروایة یرمز إلی قوة الحریة والتنویر.

والأمر آلآخر هو دور المعرفة وعلاقتها مع تشکّل السلطة وترسیخها، والذی عرضه *فوکو* فی کتاباته. فمن منظور روایة «الزینی برکات» تکون الطبقة الحاکمة هی الطبقة التی قصرت المعرفة والعلم علی نفسها دون الطبقات الأخری. *فالغیطانی* فی هذه الروایة یؤکد علی ضرورة الوعی والحذر مقابل ظاهرة السلطة إذ تعمل الطبقة الحاکمة أینما لزم ودعت الحاجة وفی ظرف ثقافی بحت علی تثبیت حضورها، وذلک بأسالیب سیاسیة وعقدیة واقتصادیة واجتماعیة.

یعتبر التعارض فی حقل السلطة کذلک من المفاهیم التی لها وزنها فی تفکیر *فوکو* الانتقادی للسلطة. ففی روایة «الزینی برکات» لا یزال الإیدیولوجی القیمی والثوری لـ«طبقة المهمشین» یناهض ویتعارض الایدیولوجی اللاثوری لـ«طبقة المسیطرین» التی تکونون أصحاب المال والقوة. وهذا الصراع یزعج عقول الناس وأرواحهم. و أخیراً یرمی *الغیطانی* فی روایته هذه إلی توضیح أن السلطة لن تتجلّی بوضوح وإنّما هی معقّدة

وغامضة وتکون علی أتمّ صلة مع أصغر عناصر المجتمع. والأهم من ذلک إنّها تغیر جسم الأفراد وتتحکم فیها وتبنیها. فالکاتب یهدف من وراء رسم سیماء السلطة إلی القول إنّ السلطة التی تتدارک المعرفة مباشرة هی فی حد ذاتها تخلق المعرفة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

استونز، راب. ۱۳۷۹ش، **متفکران بزرگ جامعه‌شناسی**، ترجمة مهرداد میردامادی، طهران: مطبعة مرکز.

اسمارت، بری. ۱۳۸۹ش، **میشل فوکو**، ترجمة لیلا جوافشانی وحسن جاوشیان، طهران: کتاب آمه.

جونز، ویلیام تامس. ۱۳۹۵ش، **خداوندان اندیشه سیاسی**، ترجمة علی رامین، طهران: علمی وفرهنکی.

دریفوس، هیوبرت وبل رابینو. ۱۳۷۹ش، **میشل فوکو، فراساختارگرایی و هرمنوتیک**، ترجمة حسین بشیریة، طهران: مطبعة نی.

زرافا، میشل. ۱۳۶۸ش، **ادبیات داستانی(رمان و واقعیت اجتماعی)**، ترجمة نسرین پروینی، طهران: مطبعة فروغی.

سعید، ادوارد. ۱۳۸۲ش، **فرهنگ و امپریالیسم**، ترجمة أکبر أفسری، طهران: توس.

سیدمن، اسیتون. ۱۳۸۶ش، **کشاکش آراء در جامعه‌شناسی**، ترجمة هادی جلیلی، طهران: مطبعة نی.

عضدانلو، حمید. ۱۳۸۰ش، **گفتمان و جامعه**، طهران: مطبعة نی.

غولدمان، لوسین. ۱۳۸۱ش، **جامعه‌شناسی ادبیات؛ دفاع از جامعه‌شناسی رمان**، ترجمة محمّدجعفر پوینده. طهران: مطبعة چشمه.

الغیطانی، جمال. ۱۳۹۴ش، **الزینی برکات**، ترجمة رضا عامری، طهران: مطبعة دنیای اقتصاد.

الغیطانی، جمال. ۱۹۹۴م، **الزینی برکات**، ط ۲، بیروت: دار الشروق.

فوکو، میشل. ۱۳۷۸ش، **مراقبت و تنبیه، تولد زندان**، ترجمة نیکو سرخوش و افشین جهاندیده، طهران: مطبعة نی.

قلی‌پور،آرین. ۱۳۸۸ش، **جامعه‌شناسی سازمان‌ها**، رویکرد جامعه‌شناسی به سازمان ومدیریت، طهران: سمت.

کجوئیان، حسین. ۱۳۸۲ش، **فوکو و دیرینه‌شناسی دانش**، طهران: مطبعة جامعة طهران.

کلی، مایکل. ۱۳۸۵ش، **نقد قدرت(بازسازی مناظره فوکو و هابرماس)**، ترجمة فرزان سجودی، طهران: مطبعة اختران.

محمدی، غفار. ۱۳۹۸ش، **قدرت در گفتمان قدرت**:
http://m-mazand.blogfa.com/post/9 ۱۳۹۸/۳/۱

میلز، سارا. ۱۳۹۲ش، **میشل فوکو**، ترجمة مرتضی نوری، طهران: مطبعة مرکز.

نظری، علی أشرف. ۱۳۹۱ش، **سوژه، قدرت و سیاست از مز ماکیاول تا پس از فوکو**، طهران: مطبعة آشیان.

وکیلی، شروین. ۱۳۸۹ش، **نظریه قدرت**، طهران: مطبعة شورآفرین.
هیندس، باری. ۱۳۹۰ش، **گفتارهای قدرت از هابز تا فوکو**، ترجمة مصطفی یونسی، طهران: شرکة شیرازه کتاب.

المقالات والرسالات

آشوری، داریوش. ۱۳۶۸ش، «**نظریه غربزدگی و بحران تفکر در ایران**»، مجله ایران‌نامه، السنة ۷، العدد ۲، صص ۴۶۰- ۴۵۴.
شوندی، حسن وکریم آزاده. ۱۴۳۲ق، «**رؤیة إلی العناصر الروائیة**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر، المجلد ۳، العدد ۱۰، صص ۵۹- ۴۹.
غلامی، ساهرة. ۱۳۹۲ش، «**بررسی سینمای هتروتوپیایی با رویکردی به مفهوم گفتمان قدرت فوکو**»، مجلة کیمیای هنر، المجلد ۲، العدد ۸، صص ۵۸- ۴۵.
فتاحی، سید مهدی. ۱۳۸۷ش، «**گفتمان قدرت در اندیشه فوکو**»، مجلة دانشنامه، المجلد ۱، العدد ۴، صص ۷۳- ۶۵.
فولادوند، عزت‌اله. ۱۳۷۲ش، «**میشل فوکو، رازبینی و راستگویی**»، مجلة نکاه نو، العدد ۱۷، صص ۶۲- ۲۶.
کرمانی نصرآباد، محسن وابوالفضل دلاوری. ۱۳۹۵ش، «**از ایدئولوژی تا گفتمان؛ سوژه، قدرت و حقیقت**»، فصلیة العلوم الإجتماعیة، المجلد ۲۳، العدد ۷۴، صص ۱۴۸- ۱۱۱.
مهدوی، علی. ۱۳۸۹ش، «**مفهوم استعمار و اقسام آن**»، صحیفة الرسالة، العدد ۷۱۲۰.
نادری، أحمد. ۱۳۸۴ش، «**بررسی اندیشه و زندگی میشل فوکو**»، تقریر بحثی نظری مقدم لنظریات الدکتور فکوهی الجدیدة للأنثروبولوجیا فی جامعة طهران، للماجستیر.

Bibliography

Cousins, M. and Hussain, A. (1984) Michel Foucault, London, Macmillan.
Foucault, M. (1972) The Archeology of Knowledge, London, Tavistock.
Foucault, M. (1980) Power/Knowledge, Brighton, England, Harvester.
Hale, J.R. et al. (1966) Age of Exploration, The Netherlands, Time-Life International.
Miller, J(۱۹۹۳). The Passion of Michel Foucault.
New York: Simon and Schuster
A giant, leucine. (1381). Sociology of Literature; Defending the Sociology of the Novel. Translated by Mohammad Jafar Pouyandeh. Tehran: Well, the fountain.
Al-Ghithani, Jamal (1394). Alzini Barakat, translation by Reza al-Ameri, Tehran: Approaching the World of Economics.
Al-Ghithani, Jamal (1994). Al-Zawni Barakat, T 2, Beirut: Dar al-Sharq.

Ashurian, Darius (1368). "The Theory of Westernization and the Crisis of Thought in Iran" Journal of Iranian Studies, Al-Sunni 7, al-Add 2, pp. 460-454.
Azdanlu, Hamid (2001). Discourse and Society, Tehran: By the way.
Dreyfus, Hubert Vebel Robino, Michel Foucault, Ultrastructuralism and Hermeneutics, Translated by Hossein Bashiri, Tehran: By Nay.
Fattahi, Seyyed Mahdi (2008). The Discourse of Power in Foucault's Thought, Encyclopedia Magazine, al-Majeld 1, al-Add 4, pp. 65-73.
Fooladvand, Ezzatollah (1372). Michel Foucault, Truthfulness and Truthfulness, Naqah-e-Naw Magazine, al-Adadi, pp. 26-62.
Foucault, Michelle (1), Care and Punishment, Prison Birth, Translation of Nico Sarkhosh and Afshin Jahandideh, Tehran: By Ney.
Gholami, Sahra (2013). Investigating heterotopia cinema with an approach to the concept of power discourse Foucault. Kimia Art Magazine, Al-Majeld 2, Al-Add 8, pp. 45-58.
Gholibour, Arian (1), Sociology of Organizations, Sociology Approach to Organization and Management, Tehran: Position.
Hinds, Barry (2011). Speeches of Power from Hobbes to Foucault, Translated by Mustafa Younesi, Tehran: Bookstore Partner.
Jones, William Thomas (1395). Gods of Political Thought, Translated by Ali Ramin, Tehrani: Scientific and Technological.
Kelly, Michael (1), The Critique of Power (Foucault and Habermas' Debate), Translated by Farzan Sujoodi, Tehran: According to Akhtaran.
Kermani Nasr Abad, Mohsen and Delaware, Abolfazl (1395) From Ideology to Discourse; Subject, Power and Truth, Al-Jum'at al-Jum'at, Chapter 23, al-Magdal 74, pp. 148- 111.
Kujuyian, Hossein (1), Foucault and paleontology of knowledge, Tehran: According to Tehran society.
Mahdavi, Ali (2010). The concept of colonialism and its types, Sahifa al-Rasali, number 7120.
Mills, Sarah (2013). Michel Foucault, Translated by Morteza Nouri, Tehran: Centered.
Mohammadi, Ghaffar (1398). Power in the Discourse of Power, 1/3/1398 http://m-mazand.blogfa.com/post/9
Naderi, Ahmad (1), The Study of the Thought and Life of Michel Foucault, Approximation of the Opinion of the Doctor of Fine Arts in the World, Tehran, Llegmaster.
Nazari, Ali Ashraf (1391), Subject, Power and Politics from Mecca Mull to Post Foucault, Tehran: By Ashian.
Saeid, Edward (2003). Culture and Imperialism, Transcendental Translation, Tehran: Birch.
Sidman, Acitone (2007), Controversy in Sociology, Translated by Hadi Jalili, Tehran: According to Ney.
Smart, Barry (19), Michel Foucault, Translated by Leila Jawafshani and Hassan Javoshian, Tehran: Ameh Book.
Stones, Rob (1379), The Great Thinkers of Sociology, Translated by Mehrdad Mirdamadi, Tehran: Centered.
Shavandi, Hassan and Azadeh Karim (1432), A Look at Fictional Elements, Journal of Contemporary Literature Research, Volume 3, Number 10, pp. 59-49.
Vakili, Sherwin (1), Theory of Power, Tehran: Consequently passionate.
Zarafah, Michelle (1368). Fictional literature (novels and social reality). Translated by Nasrin Parvin. Tehran: Foroughi, of course.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی